مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 12، عدد رقم: 04، ديسمبر 2023، صص: 165- 198

تاريخ الاستلام(2023/01/01)تاريخ القبول (2023/12/29)تاريخ النشر (2023/12/31)

تمظهرات الوصف في المجموعة القصصية "في يوم الجب "لمحمد بشير بويجرة .

The Description Manifestations in the Short Stories Collection: "On The Day of the well", by Mohamed Bachir Bouijra

حلفاوي محمد[1]، زحاف حبيب[2]

[1] جامعة مصطفى اسطمبولي، معسكر(الجزائر)،mohamed.halfaoui@univ-mascara.dz

[2] جامعة مصطفى اسطمبولي ، معسكر، (الجزائر)، habib.zehaf@univ-mascara.dz

ملخص:

يتوخى هذا المقال في شقه النظري الوقوف على فاعلية الوصف في بناء التشكيلات السردية بوصفها إجراءً فنيًا يتعالق قصديا وجماليا مع السرد ، أما إجرائيا وفي ضوء إشكالاتنا المصاغة نسعى إلى مساءلة المجموعة القصصية "في يوم الجب " لبشير بويجرة محمد، و نقوم بدءا برصد عدد من المقاطع الوصفية في المجموعة المختارة ، ثم نباشر استنطاق تمظهراتها من خلال مكونات السرد التالية : المكان، والشخصية، والحدث ..وفق منهج تحليلي وصفي يحلل معمارها ويتفحص مضمونها وآلية اشتغالها داخل هذا الجنس الأدبي، في ضوء مقاربة نقدية تستمد من حقل السرديات أدواتها. وتكمن أهمية هذا المقال في السعي إلى إبراز نموذج نقدي خالص لمكون الوصف، متحرر، لا تشوبه أي زوائد سردية ولا ينهل من حضيرة أدواتها ليطبق بها على الوصف، فاستنتجنا أن حضور السرد لا مفر منه في تلك الوحدات الوصفية المنتقاة، لذا وجب تبريره بحكم نقدي واضح الرؤى والمعالم.

كلمات مفتاحية: وصف؛ سرد؛ الخطاب القصصي؛ في يوم الجب.

Summary:

In its theoretical part, the current article aims to study the effectiveness of description in building narrative features as an artistic

المؤلف المرسل: حلفاوي محمد ، الإيميل: mohamed.halfaoui@univ-mascara.dz

procedure that is intentionally and aesthetically associated to the narration. However, procedurally and in the light of our formulated jssue, we seek to question the collection of short stories "The Day of the well" by Bachir Bouijra Muhammad, and we begin by monitoring a number of passages, the descriptiveness in the selected collection, then by interrogating its manifestations through the following narrative components: place, character, and event, etc.. According to a descriptive-analytical approach that analyzes its architecture, examines its content and the mechanism of its operation within this literary genre, in the light of a critical approach that derives its tools from the field of narratives. The importance of this article lies in seeking to highlight a purely critical model for the component of description, liberally, unmarred by any narrative appendages and without drawing from the pool of its tools to be applied to description. We concluded that the presence of narration is inevitable in these selected descriptive units, so it must be justified by a critical judgment with clear visions and landmarks.
Keywords: Description, Narrative, Anecdotal speech, On the Day of the Well

1. مقدمة :

لقد عرف السرد طرائق قدادا، وآليات نقدية مختلفة تحلل مضمونه وتكشف خباياه، وعد مكون الوصف فيه مكون فاعل من مكونات معماره، لذا فإن اندراج الوصف في السرد لا ينكره باحث أو ناقد، ولا ينفيه دارس. وبالمقابل فإن جهاز الوصف لم يفوت الفرصة في البحث عن تلك الأجزاء والجزئيات التي تخدم وتحرك مسار السرد، ولما كان الوصف في خدمة السرد وجب التفكير في آليات إجرائية وترسيخ جهاز مفاهيمي أو دراسة قائمة بذاتها لا تتوسل الأدوات من أي مكون آخر ولا تستلهم المناهج من جهة أخرى. وعليه فإن المتأمل في الوصف يجده يخلو من العملية السردية تارة، ويتلبس بها تارة أخرى، الأمر الذي أثار تساؤلات كبرى عن العلاقة المريبة والمشكوك فيها التي تجمعهما في عملية نقدية واحدة؛ رغم توجه كل منهما وطريقة اشتغاله ومميزاته. ما يلاحظ هو شح التنظير النقدي الذي يرعى مسار تقنية الوصف في الأعمال السردية بعيدا عن مسار السرد مع عدم وجود نقاد عرب متخصصين في ذلك يمكن الاستناد إلى تصوراتهم، واتباع رؤاهم في هذا الصدد، هم فقط يبنون مقارباتهم على ما استلهم من الدرس الغربي من إجراءات مواكبة لهذا العنصر. • لأن النقاد الغربيون كان لهم فضل السبق في هذا أمثال: جيرار جينات وفيليب هامون، وغيرهما.

وتأسيسا على ذلك حاولنا الوقوف على ممارسة حقيقة تميع نسب الوصف وحمولة السرد فيها، داخل الخطاب القصصي، ممثلا في المجموعة القصصية "في يوم الجب" لصاحبها بشير بويجرة محمد.

كما يثير البحث الإشكاليات التالية ماهي الاستراتيجية الوصفية داخل المجموعة القصصية المختارة للمعالجة؟ وما هي ملامحها في ذلك؟ وما حظ تمظهر الوصف الخالص فيها؟ وهل يمكن تصور وصف دون سرد ضمن نسيجها؟ وهل يمكن للوصف أن يؤسس مقارباته دون سرد؟

2. قراءة مفهومية في القصة، والوصف والسرد:

القصة سرد وتسجيل لأحداث، بأسلوب أدبي يصنعه السارد وتتوفر على عناصر معينة منها: الوصف والحوار وغيرهما. لكن هذا « السرد المحض لا يصنع قصة، لأن القصة نفسها ليست سردا خالصا، كذلك الوصف لم يعد ذا وظيفة تسجيلية لتثبيت أو توثيق المكان»[1]، ولكنه عنصر جمالي يساهم بطريقة أو بأخرى في صنع هذا النسيج، فوجوده ضروري وهام ولا يمكن الاستغناء عنه وإلا عد الأمر كالجسد من غير الروح، وحتى لا نبدد الوقت في تلك المفاهيم والتعريفات التي تناولت الوصف بشقيه اللغوي والاصطلاحي، أمكن أن نشير إلى ما يحصر ذلك، أو يقرب الرؤى من تلك المفاهيم وهو كما يراه عبد الملك مرتاض من أنه: «إجراء أسلوبي يسعى إلى تأنيق النسج اللغوي ، وتبيان صفات الموصوف»[2].

لقد أشرنا سابقا أنه لا يفضل الوصف إلا السرد، لذا فإن هناك دراسات متنوعة عالجت مكون الوصف داخل القصة، منها من بحثت في البنية الوصفية داخل هذا الخطاب السردي، ومنها من بحثت في وظائفه. فما كان خالصا فهو للتوشيح، و قد يزيد على ذلك من وظيفة تفسيرية، وإيهاميه وقد ترتبط تلك الوظائف بما هو نقي وما هو مختلط، رغم أن الدراسات النقدية الحديثة «تضرب بعرض الحائط بمعالم التحديد للوحدات الوصفية، فتذهب من سرد إلى وصف ومن وصف إلى سرد دون أن يفصل بين هذا وذاك أدنى فاصل»[3]، ودون إقامة أي حدود بين المقطع الوصفي والسردي.

أما المجموعة القصصية التي بين أيدينا الموسومة : "في يوم الجب"، لصاحبها : بشير بويجرة محمد فهي مدونة مكونة من اثنتي عشرة قصة، تعالج مسائل اجتماعية مختلفة، وتروي أحداث معارك ضارية، تنوعت مسائل الحبكة فيها بزمنية تنطلق من الثورة الجزائرية

وصولا إلى سنوات ما بعد الاستقلال، وما حدث من ظروف سياسية واجتماعية خلفها المستعمر الغاشم، بالإضافة إلى الغليان الذي حدث سنوات الاستقلال، رصدته بعض قصص المجموعة، و الجميل فيها أن القاص شاهد من أهلها، فمثلا المعركة التي وقعت في مسقط رأسه منطقة "الشرفة"، وصلته بأهالي هذه المنطقة. وقد كان الوصف عاملا أساسيا امتاز بالدقة والتزيين، كون القاص أدرى بخبايا ذلك، فاحتل مساحة واسعة امتدت على طول المجموعة القصصية.

وبما أن القصة القصيرة تتميز بالإيجاز والتكثيف فإن المقاطع الوصفية الطويلة قليلة فيها، بينما تعج بالمقاطع القصيرة منها. ولا نروم حصر جميع مقاطع الوصف الموجودة في المجموعة القصصية، ولكن مبتغانا الوقوف على عدد منها بما يتوافق مع استراتيجية منهجنا. أي أننا سنستل بعضها لنخضعها للتحليل، والفحص، حتى نعاين السرد فيها ونبرر وجوده، نصطدم بين الحين والآخر بإشكالية المعنى، نعرج عليها بالتحليل، رغم ما يتصف به المقطع الوصفي من سكون قاسي، لا يحاور المعنى الدلالي، ولا ينصاع بسهولة لكشف أغواره، ثم سننكب على دراسة العناصر الموصوفة التي تفرعت عن الموصوفات الأساسية لذا فقد «اغتدى اليوم ممكنا جدا أن نتمثل نصوصا وصفانية بأدق المفهوم للوصف؛ لعل غايتها أن ترسم الأشياء في وجودها الحيزي، بعيدا عن كل حادثة، وحتى عن كل دلالة زمانية»[4]، أو ما أثير حولها من أنها تقنية زمنية وفقط.

وحاولنا أن نمثل الوصف والسرد داخل هذا الخطاب بالمعادلة التالية:

وصف= سكون، سرد = حركة، سرد + وصف =حركة بطيئة.

3. أشكال الوصف في المجموعة القصصية:

1.3وصف المكان:

المكان في أي خطاب عنصر ضروري وهام، لأنه مسرح الأحداث ولا يمكن تخيل خطاب قصصي دون مكان، و«وصف المكان تقنية إنشائية تتناول وصف أشياء الواقع في مظهرها الحسي، وهي نوع من التصوير (الفوتوغرافي) لما تراه العين»[5] من فضاءات جغرافية ذات حيز معين، أما الحديث عن وصف المكان فيختلف من كاتب إلى آخر، والسارد البارع هو الذي ينهض على وصفه وتصويره بطريقة ينجذب إليها القارئ ،ويستشف منها الدراس الأبعاد الجغرافية والزمانية لتلك الموصوفات حتى تتم الاستفادة منها في علوم أخرى .

وقد كان للمكان بالغ الأهمية في النقد السيميائي، من خلال دراسات تتناول العلامة المكانية في حقلها الدلالي، بجهاز مفاهيمي وآليات مختلفة ، فبعضهم عالجه وفق تقنيات مغلق مفتوح أو أليف وعادي و«بعضهم يقدم الأبعاد الهندسية للمكان، من ألوان وديكورات ...وآخرون يصفونه وصفا خارجيا، وبعضهم يتدرج في وصفه من الداخل إلى الخارج أو عكسيا، في حين يركز آخرون على علاقة المكان بالشخصية سواء أ كانت إيجابية أم سلبية»[6]، ونحن ضمن مضمار تحرك الآلة النقدية، وحتى لا نشعب الأمر يكفي أن نقدم نماذج، مع إبراز طريقة تمثل العملية الوصفية للمكان و «إن أهمية الوصف لا تكمن في دقة تفاصيل القص، وإنما في كيفية تحريك القص بحيوات تعبيرية متجددة في المكان، أي كيفية تمثل الوصف لهذه الحيوات » [7] الذي يمكن القول عنه إنه:

يستميز بحضوره القوي داخل المجموعة القصصية، بالإضافة إلى الصور الوصفية الخلابة التي تزخر بها القصص خصوصا قصة "يوم الجب "رغم أنها تتحدث عن معركة وبذلك يكون بشير بويجرة قد كسر حاجز الرتابة، أي اشتغال الوصف على حساب سرد الأحداث، وتطويع المكان ليتحمل مسؤولية البطولة وسير أحداثها، وعليه فالقصة سخية بالوصف والجميل فيها معرفة الكاتب لتفاصيل بعض الأمكنة، مما جعل عنصر الوصف يخوض تجربة تصويرية رائعة بلوحات وصفية مبهرة بالإضافة إلى الطريقة التعريفية للمكان التي تدل على درايته بأركانه، وهذا كله –كما أشرنا سابقا - يستلزم معرفة الكاتب لبيئته معرفة حقيقية، وكلما كان المكان أليفا كتجربة معاشة له كان التصوير أدق والوصف أصدق، وليس كالذي لا يعرف المكان وإنما يلجأ إلى ما يسمع أو ما يقرأ مما يجعله يهمل بعض الأركان الهامة لمشاهد الوصف، ومن أمثلة وصف المكان في المجموعة القصصية ما يلي :

1.1.3 وصف الغابة:

الغابة أكبر مكان جدير بالاهتمام في المجموعة القصصية، حتى وإن لم تتناوله أغلب قصص المجموعة، فهو على سبيل الاستشهاد المكان الذي دارت فيه رحى المعارك، المناهضة للاستعمار والمطالبة بالحرية، وهو نوع من أنواع الطبيعة الساحرة، يبين القاص به انتماءه لهذا الوطن، وسخطه على المستعمر بطريقة وصفية رائعة وقد تناولت أول قصة في المجموعة وصفا دقيقا للغابة وعناصرها فمن ذلك:

إذا تأملنا المثال التالي: «أشعة صفراء قاتمة تنبعث من فج في الجبل الشرقي، وبضع سحابات ضائعات في أسفل الوادي، وعلى مسافة كيلومترين، وفي جهة الجبل الشمالي كانت تلك الأشعة ترسم صورا باهتة لأشكال غريبة، كانت تظهر كأنها تجري بسرعة فائقة، كأنها تحاول سباق الطائرات القادمة من هناك»[8].

هذا الوصف للغابة يخرج بنا إلى تصور آخر بوجود حدث معين وهو يشرك الوصف في لعبة الحدث، فالعناصر الموجودة : أشعة، سحابات ،لا تنتمي إلى الغابة، وإنما لجأ إليها القاص لتصوير المظهر الخارجي، فالأشعة الصفراء عنصر يبعث الأمل ويزين اللوحة الوصفية، بالإضافة إلى دلالة الشمس والجو في ذلك اليوم، هذا الوصف نوع من أنواع الرسم لأن الوصف والرسم متقاربان، يجعلك تفكر في المكان الذي اتخذه الواصف لوصف هذا المنظر ، كما نجد أن هذا المقطع يخل من أي عملية سردية، وقد يعتبره الدارس وصف خالص، لكن عندما ندرس العلامة المكانية، نجد أن هناك قلقا رسمته أشعة الشمس، بالإضافة إلى تمهيد لأحداث وهناك حركة رغم أن الوصف يتميز بالسكون، وقد فسرت تيمة الطائرات الحدث الموالي والمتمثل في المعركة. وهنا يبدو جليا وصف العناصر التابعة لتيمة الغابة منها الصخور والأشجار وهي بمثابة موصوفات فرعية.

2.1.3 وصف الأشجار:

الشجرة عنصر فرعي مهم من عناصر الغابة؛ والمقطع التالي يبين تناول هذا العنصر في العملية القصصية:

«أضحت الأشجار أقزاما تخبئ وراءها مليمترات من التراب بعد أن كانت من أنصاف العمالقة يمكن أن يحتمي بها جيش بأكمله»[9].

كل هذه الأوصاف تخدم الحدث، كون الأشجار ذات دلالة سيميائية توفر الأمن والحماية فبعدما كانت عملاقة يلجأ ويختبئ وراءها الجنود، أضحت في هذا اليوم المشؤوم أقزاما لا تخبئ شيئا، والوصف سهل عملية البحث عن المكون الدلالي، والمقطع الموالي يشرك فيه القاص الأشجار في لعبة الحدث:

«الأشجار مهشمة الرؤوس والأغصان...ومشوهة الأشكال والفروع...وبات يعبق المنطقة دخان البارود ودوي الانفجارات»[10]، وكأن الأشجار هي من حاربت وفي النهاية استشهدت ولعبة السرد في المقطع الثاني واضحة للعيان، شرحت هول الفاجعة، فإذا كان هذا ما حدث

للأشجار فيا ترى ماذا حدث للبشر؟ إذن هناك سرد بنسبة قليلة، ولا يمكن اعتبار هذا المقطع وصف خالص.

3 .1.3 وصف الصخور:

المقطع الآتي باكورة المقاطع الوصفية الموجودة في المجموعة، وأول فقرة وصفية انطلق بها القاص لسرد أول قصته، وهي حركة محنكة كونه مارس الوقفة الوصفية في بداية السرد ليسترد أنفاسه، ممثلة في وصف الصخور أثناء المعركة.

إذ يقول فيها: «يسود أديم الصخور، حتى عدت لا ترى إلا صخرة ناصعة أو جامدة»[11].

الصخور تتميز بالقساوة، وهي مؤشر من مؤشرات الحماية والأمن والاختباء من الرصاص، وهو برنامج وصفي يتماشى مع تقنية الاسترجاع الزمنية التي اعتمدها الترتيب الزمني للقصة، كونه انطلق بالسرد من الحاضر إلى الماضي، ثم عاد من الماضي إلى الحاضر. ولعل سواد أديم الصخور دليل على شدة المعركة، ومن قساوة ذلك صارت ناصعة أو جامدة، وعليه فهذا المقطع الوصفي الاستهلالي كاد يحقق فرضية السرد الخالص لولا تدخل الجملة الثانية "عدت لا ترى...."، حيث يخاطب القاص القارئ ويشركه في لعبة الحدث.

4 .1.3 وصف الوادي:

من أمثلة ذلك: «الوادي الكبير الذي تندفع مياهه بجنون لتصل إلى هاوية تكون شلالات تصب في حفرة، كبيرة، عميقة، أكلت ضحايا كثيرين منذ أن خلقت في هذا المكان»[12].

هنا يصف الوادي الذي تسبب في هلاك صاحب المحراث، فالقاص يصف ويسرد في آن واحد، فرغم أنه وصف مسار الوادي وهيئته، إلا انه بين بطريقة سردية تسبب هذا الوادي في هلاك الضحايا، أي هناك إخبار للمتلقي بخطورة هذا المكان، الذي يصب في حفرة عميقة، أغرقت أبناء القرية، وعليه فهناك عملية سردية أو دفق سردي، حيث فقد الوصف هنا نقاوته وتميزه.

5 .1.3 وصف القرية:

من أمثلة وصف القرية في المجموعة المثال الآتي: «كانت قرية "ش" نائمة بين أحضان جبلين بهدوء وحنان، وكانت بعض القناديل الزيتية أو البترولية ترسل أشعة خافتة لا تكاد تقاوم سطوة الظلام الدامس، لحظات قصيرة حتى تضيع وسط انسيابه.»[13].

القرية من أكثر الأماكن رسوخا في ذهنية الإنسان، كونها موطن الدفء والاستقرار، هناك سرد خفي تفسره كلمة 'القناديل "، مع وجود شخوص يشعلون الضوء إما للسمر أو لقضاء حاجة كالعشاء وما إلى ذلك، كما نلاحظ بساطة هذا الوصف المقدم الشبيه بلوحة زيتية، وقد نذهب مع "جيرار جينيت" حول أن هذه الوقفة تأملية، ذات وظيفة تزيينيه يسترد فيها السارد أنفاسه، لكن ما نسبة وجود السرد في هذا المقطع. مقاطع الوصف الخاصة بالقرية أمكنتنا من استنتاج الحالة المعيشية لهذه القرية من خلال القناديل الزيتية وربما وجود زمن من نوع خاص –تاريخي-، وبدل التحدث عن توقف زمن السرد؛ يمكن القول إنه مكان أليف للكاتب مثله مثل الغابة، وأمكن من ذلك اكتشاف نوع من العلاقة بين الكاتب والمكان، لأنه ليس تخييلي وإنما واقعي وهناك عناصر منتمية إلى فضاء المدينة منها الشارع والطريق وغيرها.

6.1.3 وصف الشارع:

نجد وصف الشارع في بعض المقاطع مثل: «الشارع الطويل الذي تحف به بنايات تليدة الصنع والزخرف ومن بعيد كنت ترى عمالا مختلفة سيماتهم فيهم الكادح الحامل لبقايا بشر العمارات الساحقة، وفيهم المأمور البسيط، وفيهم من هو أقل شأنا من ذلك وذا وفيهم من قضى ليلته ملقى على أحد الأرصفة السوداء»[14]، جمالية الوصف في هذا المقطع تتقارب مع الصور الفوتوغرافية، ويمكن اعتبار هذا النوع من الوصف فقضاء الليلة في حده سرد، وأمكن التماس لعبة السرد الخفي في هذا المقطع.

«شارع "ث" ممتد كالعفريت، على جانبيه نقطة حمراء توحي بالرهبة وقت الضحى، بعض الأزقة الضيقة الموحشة متصلة به كالشرايين المسلولة، تنيره أضواء كبيرة مبعثرة على الجانبين، بين لحظة وأخرى تظهر هياكل لا أشكال لها تتعثر في البرك الصغيرة المنتشرة التي كثيرا ما كانت مسرحا للعب لأطفال في الشتاء»[15].

يتداخل في هذا المقطع الوصف بالسرد، مما فتح فسحة من التأمل لتلك الشخصيات المتمثلة في الأطفال وهي تلعب. وهو الأمر الذي علق بالذاكرة المكانية للقاص، ويمكن اعتباره وصفا مزجي يجمع بين عنصرين في عملية وصفية واحدة، ويمكن اعتبار الأزقة والضواء والبرك عناصر فرعية منتمية إلى العنصر الرئيسي الذي هو الشارع، أما الأطفال فلا يمكن اعتبار انتمائهم لذلك.

1.3.7 وصف الطريق:

ومن تجليات وصف الطريق في المجموعة القصصية المقطع الوصفي الآتي:

«ملتوية بعضها ضيقا ...متسخا كثر الأطفال والضوضاء ...أما بعضها الآخر كان واسعا نظيفا تدب فيه الحركة بلطف وخيلاء»[16].

فالمقصود هنا هو الطريق الذي ينتهي إلى الشارع، وهو فضاء مفتوح ذو دلالات مختلفة، تارة واسع وتارة ضيق على حسب الأزقة والشوارع إن وسع وسعت وان ضاق ضاقت، ووجود الفعل في هذا المقطع الوصفي يوحي بانتشار رائحة السرد، وأضحى الوصف طرفا مشاركا، ونلاحظ هنا أيضا أنه يشرك الشخصيات المتمثلة في الأطفال بالمكان فهولا يكتفي في القصة القصيرة بتلك الأبعاد المكانية، بل يكشف عن أبعاد نفسية واجتماعية نحيط بالشخصية الشخصية، ودور الراوي الذي يتعامل مع ذلك.

2.3. وصف الشخصيات:

في المجاميع القصصية لا نجد شخصية محورية، أو بطلة مثل الشخصية في الرواية، وإنما لكل قصة أبطالها، وشخصياتها الفاعلة، وقد حاول القاص في كل مرة وصف شخصياته من جوانب مختلفة سواء من الناحية الداخلية، أو الخارجية. وينقسم وصف الشخصية إلى قسمين: الوصف البراني والجواني، أو وصف المظهر الداخلي والخارجي.

1.2.3 الوصف البراني أو الخارجي:

هذا النمط من الوصف هو «الذي ينهض بتحديد الملامح الخارجية المميزة للشخصية المقدمة»[17]، أي أن الواصف يصف مظهرها الخارجي، من حيث قوة البنية، والطول والقصر أو وصف الهيئة الخارجية للشخصية؛ وأمثلة ذلك كثيرة في المجموعة القصصية خصوصا حين نجد القاص يقدم المظهر الخارجي للشخصية بوصف ذي طبيعة تزيينيه متمثل في اللباس، والهيئة الخارجية مثال ذلك:

وصف لباس البطل «اخترت الجلابة السوداء، والعمامة البنية، والحذاء البلاستيكي»[18].

ففي هذا المقطع لم يتعمق القاص في وصف المظهر الخارجي للشخصية بل اهتم بالهندام فقط، رغم أنه لا يوضح إلا الحالة الاجتماعية للشخصية، على عكس المقطع الموالي، وهذا المقطع بالذات يؤكد الخريطة البحثية التي تناولناها، حيث ينعدم هنا السرد ويتميز بالسكون دون حركة فهو مقطع وصفي خالص نقي طاهر:

سرد =0، وصف الشخصية = وصف – سرد = سكون، مما ينتج وصفا خالصا.

«طالبة الثانوية. سروال مستورد، شعر مقصوص بلباقة، ثم طريقة في الكلام من النوع الحديث»[19].

تحليل جزئيات هذا المقطع يقدم لنا إشارات عن عمر الموصوف، وحالته الاجتماعية فالوصف الناجح الذي يقوم على الرؤية فقط دون أي سرد يذكر، يتمتع بالسكون دون أي حركة، ويحقق فرضية السكون، حيث ينعدم السرد بينما في المقطع الأول يركز القاص على الهندام الخارجي للشخصية، أما في المقطع الثاني يجمع بين اللباس والهيئة التي تتمثل في الشعر وهنا لا نعتبر هذه الوقفة وصفية، وإنما تأملية أي أن القاص يتأمل شخصياته.

الوصف = السكون + التأمل =0 حركة.

2.2.3 الوصف الجو اني أو الداخلي:

يعرف على أنه الوصف «الذي ينهض على تحديد أهم الملامح الداخلية التي تميز الشخصية، والسارد الخارجي العليم، يتمكن من تلمسها بناء على قدرته على معرفة ما يدور في ذهن الشخصية، وأعماقها»[20]،وهو وصف الداخل، وما يجول في أعماق الشخصية أي أن الواصف هنا يعرض المظهر النفسي أو السلوكي للشخصية فهي: «مواصفات سيكولوجية: تتعلق بكينونة الشخصية الداخلية (الأفكار، المشاعر، الانفعالات، العواطف....» ومن أمثلة ذلك في المجموعة القصصية:

«كان شابا مثقفا، يحفظ القرآن الكريم، يعرف الفرنسية والإسبانية ...كان يؤمن بأن الوقت حان للجزائريين ليروا النور ...كان قليل الكلام»[21].

رغم أن الأفعال لدليل على وجود السرد، إلا أن التحليل الأولي لهذا المقطع يكاد يحقق فرضية الوصف الخالص الذي لا تشوبه أي زوائد سردية، ولكن رأينا لا يستقر بعد التحليل الثاني فالمقطع "كان يؤمن بأن الوقت حان للجزائريين ليروا النور "، يخدم المقاطع السردية الموالية، وفيه من الرائحة السردية التي لا يكتشفها إلا متبصر أما هذا المقطع:

«القادة صارمين، أذكياء، مخلصين لقضيتهم...»[22].

إن مثل هذا الوصف لا بد منه لأنه ساعد الحدث، فمن سبب الانتصارات والبسالة في المعارك، وجود مثل هؤلاء القادة وبمثل هذه المواصفات، ورغم أن هذا المقطع مستقل عن السرد إلا أنه خدمه بطريقة أو أخرى، يستشفها القارئ المحنك –كما أوردنا سابقا-لكن يبقى وصفا خالصا، لا يقبل أي تبعية للسرد، يحدد أفعال الشخصية وميولاتها.

3.3 وصف الحدث:

الحدث من العناصر الهامة التي يقوم عليها القص «فكل ما في نسيج القصة من لغة ووصف وحوار وسرد يجب أن يقوم على خدمة الحدث، فيساهم في تصوير الحدث وتطويره »[23] وذلك للدور الأساسي الذي يلعبه داخل القصة والحكي، فأمر السرد برمته يقوم على ذكر لحدث «وقد يمتزج الحدث بالوصف؛ ليكون أكثر تأثيرا، ويقوم الوصف في تقديم الحدث، بوصفه وسيلة فنية أداتها اللغة، بدور بالغ التأثير، حيث يستطيع بعكس جميع الدلالات الفكرية والظلال النفسية والشعورية»[24] ، وتزخر المجموعة القصصية التي نحن بصدد معالجتها بالأحداث، لأن كل قصة ماهي إلا تصوير لحدث. وفي الوقت نفسه نجد فيها عمليات وصفية عديدة ومختلفة للحدث، لتنوع عملية الحكي وذلك لتنوع الحكي في الخطاب القصصي، ويمكن أن نسمي ذلك بالوصف/الحدث ويتحقق ذلك «حين يصبح الوصف وحده، مضطلعا بمهمة سرد أحداث مخبوءة ومتسربة عبر سراديب الجمل الوصفية»[25] أي أن:

الوصف/الحدث =وصف+ سرد أحداث.

وتعضيدا لذلك يمكن القول أن: الوصف/الحدث ما هو إلا وصف يلجأ إليه الكاتب لرسم معالم الأحداث الموالية للقصة أو ممهد من الممهدات التي يتكئ عليها السرد لمواصلة بناء اللحظات الموالية، وعليه قد وقفنا في المجموعة القصصية على مقاطع وصفية تشع بالأحداث، كل حسب طبيعته منها:

1.3.3 وصف حدث المعركة:

وصف حدث المعركة من الأحداث الرئيسية، مما يبرر كثرة وروده في المجموعة القصصية:

«يزداد الموقف رعبا...وتتحول المنطقة إلى غبار ...تصاب بالارتباك...الوضع رهيب لا يحتمل الوصف، أصوات غريبة تنبعث من الغابة، الطائرات العمودية تقوم بتغطية المنطقة»[26].

يرمز هذا المقطع إلى حدث المعركة، إذ نجده يحتوي على أفعال منها: يزداد، تتحول، تصاب، يحتمل، تنبعث، وهي أفعال محركة للحدث. مهمة الوصف هنا مشابهة لعملية السرد ولا نكاد تفرق بينهما، فالقاص يسرد ويصف في آن واحد، وليس سهلا أن نقف على حد فاصل بينهما، بينما الحديث عن وصف خالص، هو حديث ممتنع، ووصف الحدث أصغر من سرد الحدث.

وصف الحدث< سرد الحدث.

وصف +حدث =سرد خفي =حركة نشيطة.

3.3. 2 وصف حدث التعذيب:

المقطع الآتي وظفه الكاتب لوصف طريقة تعذيب البطل والتفنن في ذلك:

«تغطس في الماء...الملح...الضباب ...الاختناق ...أنت لا تتنفس ...تصارع الموت بيديك...تحرك رجليك...تبتعد رويدا رويدا ...لا شعور ...لا ألم...»[27]

وهو مقطع أيضا لا يبتعد عن جوهر الحمولة السردية حتى أنك لا تستطيع التفريق بين الوصف والسرد فيه، وهنا يظهر جليا أن القاص مزج بين الوصف والسرد في مقطع واحد، فالعناصر الموجودة: تغطس في الماء، الاختناق، وغيرها وجدت لغرض تبيين الكيفية التي يقوم عليها التعذيب، وهو شرح لعملية التعذيب، ولا يمكن استغناء تقنية عن الأخرى. والأفعال الموظفة في الجملة المستشهد بها أعلاه هي أفعال محركة للحدث والسرد لغرض واحد هو إيضاح كيفية التعذيب.

وصف +حدث =سرد خفي =حركة بطيئة.

3.3. 3 وصف حدث السقوط:

هو وصف قليل في المجموعة ومثال ذلك المقطع الآتي: «بعد سقوطي من دراجة نارية، السقوط مهزلة، ضعف، لكن السقوط من الحركة أهون، الضعف والهوان ينتابانك، وجسمك يلقى على الأرض»[28]. نلاحظ في هذا المقطع وجود أحداث متوارية، تتلبس بلباس الوصف من جهة وتتكئ على السرد من جهة أخرى، فكأنما وصف حادثة السقوط، يتناول حدثا.

نلاحظ أن هذا الوصف عنصر من عناصر الحدث، يساهم في تقدمه وتطويره لذلك، «فالوصف مثل كل شيء آخر في نسيج القصة ليس للزينة وإنما ليؤدي غرضا معينا، فهو جزء من الحدث»[29]. فسرد الحادثة ووصفها لا يختلفان لأنهما يؤديان دور الإخبار، وربما هو ما التمسناه في المقاطع الوصفية النموذجية التي قدمناها محل الدراسة، وعليه فأهمية «الوصف تتمثل في تسليط الضياء على موقف ما أو حدث ما؛ بينما تتجسد غاية السرد في تسليط بعض الضياء على موقف ما»[30]، لذا فوجودهما اكثر من ضروري لبناء المعمار السردي.

4. الخاتمة:

لقد خلصنا من خلال المعالجة النقدية لتقنية الوصف في المجموعة القصصية المنتخبة للدراسة إلى أن وظائف لعبة الوصف عديدة، منها ما تعلق بإضفاء بعد جمالي على النص ومنها ما تعلق بالتفسير والإبانة، مما يطعم الوصف بالبعد الرمزي ضمن نسقية الحكي.

بدأت معالجتنا الإجرائية بتقييم الكفاءة الأدائية بالكشف والإيضاح لهذا المكون، وقد جعلناها دراسة فاحصة نروم بها التأكيد على أننا سنشارك في لعبة المزج بين الوصف الخالص والمقيد بالسرد، وحاولنا ما أمكننا استخلاص النقي منه والذي لا تظهر عليه شوائب حركية الحكي فوقفنا على ما يلي:

المجموعة القصصية التي بين أيدينا تعج بالمقاطع الوصفية التي كنا ندعيها خالصة من السرد، غير أننا ولدى المعالجة لا حظنا طواعيته له، وحتى وإن خلا الوصف من السرد فإنه يمهد لحضوره بكيفية أو بأخرى. فالمقاطع الوصفية الخالصة ما هي إلا ممهدات لعملية الحكي، مما صعب عملية الفصل ما بين الوصف والسرد على مستوى الدراسة النقدية.

متلقي المجموعة القصصية يقف على ذلك التنوع في أنماط الوصف بطريقة احترافية: كوصف الحدث والشخصية، وفي أكثر من مقطع تمكن القاص من إشراك الوصف في لعبة الحدث الذي سمي بالحدث الوصفي، ولا يمكن أن يكمل الوصف الخالص مساره في عملية الحدث، إلا ويتم استدعاء السرد لإتمام المهمة كبر المقطع أو صغر.

وتأسيسا على ما سبق فإن الوصف جزء من السرد ومكون من مكوناته، وأي دراسة تنصب على أحد هذين العنصرين سوف تستحضر الآخر حتما، وإن كنا قد عولنا على تحريره منه وتقديم مقاطع وصفية خالصة، فإن الخالص منه موجود إما للتأمل، أو الزينة، وما هو إلا ممهد من ممهدات السرد يعبد له الطريق لإتمام مشواره.

اتضح مما سبق أن هذه المقاطع الوصفية لها دور بالغ الأهمية، تنهض بتصوير تلك الجزيئات التي لا يقدر عليها السرد وإنما يتم تسليمها للوصف حتى يفكك أجزاءها.

إن الإيمان بوجود مقاطع وصفية قائمة بعيدة عن السرد، مفروغ منه لكن بنسب قليلة، قد يركن إليها التحليل الذي يبقى ضعيفا، شلت حركته من دون حكي، ويبقى السرد صاحب الجلالة في ذلك.

المجاميع القصصية عكس الرواية في عملية اشتغال وصف الشخصيات، فإذا كانت الرواية في بعض الأحيان تتمتع ببطل واحد فإن المجاميع القصصية تضم في طياتها أكثر من بطل لذلك فان الوصف في هذا المجال يتعدد ويتنوع.

الوظيفة التي يؤديها السرد أكبر من وظيفة الوصف واشتراكهما في مقطع واحد يعطي الأولوية للسرد على حساب الوصف، مما جعل هذا الأخير يصنف في خانة التهميش، الأمر الذي جعل الدراسات تنصرف عنه نحو السرد.

السرد صاحب الجلالة في الخطاب القصصي، وما الوصف إلا خادم مطيع، نحسب أن هناك مقاربات تستعد للتجديد والتعديل، تفتح الباب على مصراعيه لتبني مقولة الوصف الخالص لأن الحاجة ماسة لتبرير هذا الوجود بمقاربات نقدية ذات أسس منهجية بعيدة عن السرد ومتحررة منه.

تدوين الهوامش يكون في آخر المقال بطريقة آلية. يرقم التهميش بطريقة متواصلة وتعرض القائمة الببليوغرافية في نهاية المقال بالترتيب الآتي: المؤلّف، عنوان الكتاب أو المقال، الناشر، البلد، الطبعة، السنة.

مراجع البحث وإحالاته:

● على حد علمنا واطلاعنا لا توجد دراسة خاصة قائمة بذاتها تخص الوصف في النقد الجزائري إلا ما كان قائما في ثنايا المقالات والبحوث الأكاديمية ضمن دراسات أخرى لها حضورها في المشهد النقدي العربي.

1 عباس عبد جاسم، سرد ما بعد الحداثة، طبع مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، بغداد، ط2، 2013، ص25.

2 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص245.

3 نجوى الرياحي، في نظرية الوصف الروائي، دار الفارابي بيروت لبنان، ط1، 2008، ص107.

4عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص249.

5 محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية، في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1996، ص115.

6 نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، طبع وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، ط1-2015، ص42.

7 عباس عبد جاسم، سرد ما بعد الحداثة، ص26.

8 محمد بشير بويجرة، في يوم الجب، مجموعة قصص، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، دط، 2004، ص09.

9 المصدر نفسه، ص30.

10المصدر نفسه، ص08.

11المصدر نفسه، ص03.

12المصدر نفسه، ص55.

13المصدر نفسه، ص15.

14المصدر نفسه، ص37.

15 المصدر نفسه، ص79.

16 المصدر نفسه، ص28.

17أحمد مرشد البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005، ص65.

18محمد بشير بويجرة، في يوم الجب، ص28.

19 المصدر نفسه، في يوم الجب، ص38.

20أحمد مرشد البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص68.

21محمد بشير بويجرة، في يوم الجب، ص30.

22 المصدر نفسه، في يوم الجب، ص33.

23رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1964، ص115.

24 نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، ص161.

25 عبد اللطيف محفوظ، وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للناشرين، بيروت، ط1 ،2009، ص59.

26 محمد بشير بويجرة، في يوم الجب، ص33.

27 المصدر نفسه، ص29.

28 المصدر نفسه، ص30.

29رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة، ص118.

30 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 252.

قائمة مراجع البحث:

1) أحمد مرشد: البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.

2) عباس عبد جاسم: سرد ما بعد الحداثة، طبع مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية، بغداد، ط2، 2013.

3) عبد اللطيف محفوظ: وظيفة الوصف في الرواية، الدار العربية للناشرين، بيروت، ط1 ،2009.،

4) عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998.

5) محمد بشير بويجرة، في يوم الجب، مجموعة قصص، دار الأديب للنشر والتوزيع، وهران، دط، 2004.

6) محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقاربة بنيوية تكوينية، في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط1، 1996.

7) نجوى الرياحي: في نظرية الوصف الروائي، دار الفرابي بيروت لبنان، ط1، 2008.

8) نداء أحمد مشعل، الوصف في تجربة إبراهيم نصر الله الروائية، طبع وزارة الثقافة الأردنية، عمان، الأردن، ط1-2015.

9) رشاد رشدي، فن القصة القصيرة، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط2، 1964.